

المستطرف في كل فن مستظرف

(إنا نعزيك لا أنا على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين) .
(فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى ولو شاعا إلى حين) وكتب بعضهم إلى أخ له يعزيه أنت يا أخي أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وإنها لم تعط إلا أخذت ولم تسر إلا أحزنت وأن الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله منه وإنا الله وإنا إليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب إليه يقول .
(تعز أمير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغدو الصغير ويولد) .
(هل الابن إلا من سلالة آدم ... لكل على حوض المنية مورد) وكتب بعضهم إلى صديق له وقد ماتت ابنته فقال .
(الموت أخفى سوءة للبنات ... ودفنها يروى من المكرمات) .
(أما رأيت الله سبحانه ... قد وضع النعش بجنب البنات) وكتب بعضهم إلى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وإن لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك وما نعا من يقينك فإن المحن إذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزير علي أن أخطب مولاي معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتهي إلى جملته فكيف بالصنو الأكرم والذخر الأعظم والركن الأشد والسهم الأسد والشهاب الأسطع والحسام الأقطع لكن التعزية سيرة سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله إذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الأشرف والأوضع لأجلت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاي يقتدي